العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

"إدارة الكوارث البيولوجية في سورية دراسة مقارنة بين الطاعون زمن المماليك وكورونا"

إعداد الباحث:

غياث أحمد دك

ماجستير كلية العلوم السياسية –جامعة الشام

2020

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

مستخلص البحث:

قد توصلت الدراسة إلى أن دولة المماليك قد توصلت للحد من انتشار الطاعون والتخفيف منه من خلال أتباع عدة خطوات أساسية هي (تخفيف حدة الكارثة –الاستعداد والتحضير– التوجيه المعنوي والأخلاقي–إعادة التوازن الاقتصادي ومنع الاحتكار).

وسوف نقارنها بالنتائج والتدابير في سورية عام 2020 في مناطق سيطرة النظام السوري ومناطق سيطرة المعارضة السورية التي لم تعترف إلى الأن بحجم الكارثة والأعداد الحقيقة رغم إعلان الفيروس وباء عالمي لا علاج له، هل المواطن السوري وحياته رخيصة لهذه الدرجة أم أن السلطات السورية فاقدة للصدق والمصداقية.

الكلمات المفتاحية:

الأوبئة–البيمارستانات–ادارة الكوارث البيولوجية – الطاعون –فيروس–كورونا–الزلزلة.

المقدمة:

مثلت الكوارث الطبيعية المتمثلة في الأمراض البيولوجية و الأمراض المعدية السارية خطراً على الإنسانية منذ فجر التاريخ وتعد هذه الأنواع من الأمراض البيولوجية من أخطر ما تعرضت له المجتمعات البشرية عامة ومنطقة بلاد الشام خاصة عبر التاريخ، منذ طاعون عمواس زمن الفتوح الإسلامية الذي شهده هذا الإقليم من العالم وما نتج عنه من تدهور في النمو السكاني لسكان المدن و الأرياف في ذلك الوقت، كما شهدت منطقة بلاد الشام في زمن الدولة المملوكية وحدها اجتياح وباء الطاعون أكثر من خمسين مرة من عام 1250 الى 1517إلا أننا لا نسعى في بحثنا هذا إلى دراسة حصر عدد المرات التي ضرب فيها الطاعون بلاد الشام بل لمقارنة بين الإجراءات والتدابير التي اتخذتها الدولة في بلاد الشام لمواجهة الامراض وتخفيف المعاناة الصحية والاجتماعية والاقتصادية على السكان زمن الدولة المملوكية، مقارنة بالتدابير والإجراءات التي اتخذتها السلطات في سوريا لمواجهة فيروس كورونا عام 2020، وما هي الإجراءات الوقائية للحد من انتشار الفيروس، التي اتخذتها السلطات السورية في دمشق وكذلك المناطق الواقعة تحت سيطرة قوات المعارضة السورية والإجراءات التي اتخذتها في مناطقها للحد من انتشار فيروس كورونا.

أهمية البحث : انتشرت الكوارث الطبيعية زمن الدولة المملوكية في بلاد الشام، وتنوعت ما بين أمراض وزلازل وجفاف وطواعين فاق غيره من العصور وتنوعت معه الإجراءات المتبعة من قبل الدولة للتعامل مع الكوارث وإدارتها، وسوف نفرد الحديث عن وباء الطاعون وآثاره النفسية والاخلاقية على المجتمع، وماهي أهم الخطوات والقرارات التي اتخذتها السلطات في ذلك الوقت لمواجهة الطاعون، ومن ثم نقارن بينها وبين الأداء الحكومي في عصرنا الحالي في سورية في مواجهة فيروس كورونا في منطقتين، مناطق سيطرة النظام، ومناطق سيطرة المعارضة السورية، ونقدم تصوراً عاماً عن الأداء الحكومي في ظل كارثة بيولوجية تجتاح العالم بأسره.

اهداف البحث: يسعى البحث لتحقيق الاهداف التالية:

1–اجراء مقارنة بين الماضي والحاضر لمواجهة الامراض المعدية رغم الفرق في التقدم العلمي بين الزمانين.

2–اهمية تكافل الجهود بين الجميع واهمية التدابير التي تتخذها الدول في زمن الأوبئة للحد من انتشارها وتداعياتها على المجتمع.

3–تبيان تأثير تداعيات الصراع والحرب في سوريا في العصر الراهن على التدابير واختلاف الاجراءات ضمن الاراضي السورية تبعا لاختلاف القوى المسيطرة على المناطق داخل سوريا.

إشكالية البحث: كيف سوف تتعامل السلطات في سورية مع فيروس كورونا في ظل الصراع الدائر في البلاد رغم التطور العلمي في العصر الحديث، وهل كان أداء الدولة المملوكية أفضل من أداء السلطات السورية في إدارة الكوارث البيولوجية؟

منهج الدراسة: تم اعتماد المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن، بجمع المعلومات والروايات التاريخية من مصادرها الأصلية، وتحليل هذه المعلومات بشكل موضوعي، في سياق علم الكوارث وإدارة الأزمات بما يتناغم مع عناوين الدراسة وأهدافها.

الدراسات السابقة:

حسب اطلاع الباحث على مواقع البحث المتخصصة في الشبكة العنكبوتية(الانترنت)، وفهارس المكتبات المختلفة، ونوعية الدراسة عن إدارة الأزمات البيولوجية والأمراض السارية والإجراءات الحكومية، أيضا حول فيروس كورونا في الوقت الحالي، لم يجد الباحث دراسة وافية عن هذا النوع تغطي الأثار النفسية والاجتماعية لفيروس كورونا في سورية وتعتبر هذه أول دراسة في سورية من هذا النوع ضمن الإطار الزماني والمكاني للبحث.

تركزت معظم الدراسات السابقة عن دراسة نوع واحد من الكوارث مع ذكر مختصر لنوع ثاني تزامن حدوثه في نفس العام (الزلازل–الجفاف–الطاعون).

1- محمد حمزة محمد صلاح، إشراف خالد يونس الخالدي، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر(491-923هـ=1097-1517م) الجامعة الإسلامية، غزة، رسالة ماجستير، 2009، تناولت الدراسة الكوارث الطبيعية في بلاد الشام بكافة أنواعها، جفاف، سيول، الزلزلة، صقيع، ثلوج، طاعون، وتدل الدراسة على اهتمام علماء المسلمين بدراسة الكوارث الطبيعية، في مجال التأليف، والتحليل، والتوثيق الاحصائي.

2- أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي، إعداد: فيصل عبد الله بني حمد، بحث محكم نُنشر في مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت،2008

3- الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي(648-922هـ=1250-1517م)، نافذ محمد عبد ربه الشوامرة، إشراف، شوكت رمضان حجة، فلسطين، جامعة الخليل، رسالة ماجستير، 2012، هدفت الدراسة إلى التعرف إلى أنوع الكوارث التي عصفت في بلاد الشام في عصر المماليك، وتوضيح الآثار التي ترتبت على حدوثها، ومدى تأثيرها في نواحي الحياة.

4- طاعون 749\1348م في العصر المملوكي الأول وآثاره في جوانب الحياة المختلفة، رائد عبد الرحيم مصطفى حسن، فلسطين، نابلس، جامعة النجاح الوطنية، بحث محكم، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثامن والأربعون، رجب 1439هـ. تناولت الدراسة الكوارث البيولوجية (الطاعون) وخاصة طاعون عام 1348 الذي وصف بعالميته وعمومه الأرض جمعاء.

المقدمة:

مثلت فترة الحكم المملوكي (1250-1517) م فترة حاسمة في التاريخ العربي الاسلامي بصفة خاصة والإنسانية بصفة عامة لما حصل فيها من أحداث عظيمة كثيرة، كما أن هذه الدولة حفلت بالعديد من السلاطين العظام الذين خلد التاريخ بصماتهم على صفحات ناصعة، لقد استطاع المماليك تشيد إمبراطورية واسعة مترامية الأطراف تسيطر على ممرات هامة وبحار وخلجان لها وزنها السياسي والعسكري في العصور الوسطى، إلا أن هذا العصر وهذه الدولة شهدت أنواع مختلفة من الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والسيول والثلوج والصقيع وظهور أسراب الجراد والفئران، بالإضافة إلى تفشي الأوبئة والطواعين (الكوارث البيولوجية).

وقد تسببت هذه الكوارث إلى تراجع الزراعة والصناعة والتجارة ونقص حاد في عدد السكان، مما أدى إلى تدمير اقتصاد الدولة المملوكية[1]، وكان لحدوثها دور كبير في انعدام الأمن وعدم الاستقرار[2]. وترك حدوث بعضها آثاراً نفسية بالغة انعكست سلباً على المجتمع أخلاقياً وسلوكياً، مما نتج عنه تفكك الروابط الاجتماعية داخل المدن تزامناً مع حدوث الكارثة.

[1] أشرف صالح محمد، الانحراف الاجتماعي خلال العصر المملوكي، سلوك العامة نموذجاً 1250-1517، مجلة التراث والحضارة (جامعة قناة السويس) المجلد 4، العدد 4-نوفمبر، 2014 –ص294.

[2] للمزيد من الايضاح راجع، فيصل عبد الله بني حمد، أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 28، 2008، ص من 13 الى 116

فقد بلغت الكوارث التي ضربت بلاد الشام خلال العصر المملوكي حوالي مائة وستاً وخمسون كارثة تقريباً، منها اثنتان وسبعون كارثة حلت ببلاد الشام خلال العصر المملوكي الأول (1250–1381) م، وأربع وثمانون كارثة حلت في بلاد الشام في العصر المملوكي الثاني (1381–1516) م.[3]

لقد أطلق المؤرخون كلمة وباء على جميع الامراض المعدية الفتاكة التي تصيب الإنسان أو الحيوان، وعلى الرغم من إطلاق كلمة وباء على الطاعون إلا أن أغلبهم كان يدرك أن كلمة وباء أشمل من لطاعون، وأن الطاعون واحد من هذه الأوبئة، وقد عرّفت المصادر التاريخية وباء الطاعون حسب ما شاع عنه آنذاك، واصفة إياه مادة سمية ينتج عنها بثر وورم مؤلم[4]، وأكثر ما يصيب المناطق الرخوة في الجسم، ويظهر عليه احمرار أو اسوداد أو اخضرار، ويبدأ خفقان القلب بازدياد في كثير من الأحيان فضلاً عن التقيؤ، كما صنفوه ثلاث أنواع الطاعون الدموي، والرئوي، والدبلي، وكان الأخير الأكثر انتشاراً في العصور الوسطى،[5]فقد أصاب الطاعون بلاد الشام خمسين مرة تقريباً، في العصر المملوكي الأول، وثمان وثلاثون مرة تقريباً في العصر المملوكي الثاني.

أولاً–آليات مواجهة الطاعون من قبل الدولة المملوكية

حاول الانسان منذ فجر التاريخ إيجاد طرق للحد من انتشار الأوبئة وابتكار طرق وجهود هادفة لدرء خطر الكوارث الطبيعية، واجتهدت البشرية للتخفيف من حدة آثارها، إن الهدف الحقيقي لإدارة لكوارث هو تحقيق درجة استجابة سريعة وفعالة للظروف المتغيرة سريعاً للكارثة وتطوراتها، من خلال الاستعداد والتجهيز المسبق المتنبئ بحدوث الكارثة، أو بالتحكم واتخاذ القرارات المصيرية في مواجهة الكارثة، وتقليص أضرارها، وتوفير الدعم اللازم لإعادة التوازن إلى حالته الطبيعية.[6]

إن من أهم وظائف الدولة حماية ووقاية حياة مواطنيها وممتلكاتهم من المخاطر، والكوارث الطبيعية، بألوانها المختلفة تتجسد فيها نذر ومهددات لحياة الانسان وممتلكاته ومقومات بيئته لهذا تظهر الكوارث كتحد سياسي وإداري يستوجب التأمل والتبصر في الكيفية التي يمكن بها الحيلولة دون وقوع الكارثة، أو على أقل تقدير الحد من مخاطرها وأثارها التدميرية[7]، إن التاريخ يحدثنا عن الكثير من لجهود الإبداعية التي تمت في العديد من لحضارات بهدف درء الكوارث وتقليص أضرارها.

[3] للمزيد من الشرح راجع -نافذ محمد عبد ربه الشوامرة، الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي،1250-1517م، إشراف شوكت رمضان حجة، فلسطين، جامعة الخليل 2012 أطروحة ماجستير ص 168-183

[4] فتحي سالم حميدي، وباء الطاعون وأثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد 12-عدد 4-2013-ص 456.

[5] جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي، النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، 1963، ج 10، ص198-199.

[6] حسن أبشر الطيب،" إدارة الكوارث" الخرطوم، شركة ميلاديت المحدودة،1992، ص 7،11-33

[7] حسن ابشر الطيب – المرجع السابق، ص 115

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

لقد اهتمت الدولة المملوكية في بلاد الشام في إعمار وترميم ما دمرته الكوارث الطبيعية وقدمت المساعدة للسكان عن طريق توفير ما يلزمهم من الاحتياجات الإنسانية الضرورية[8]، لحل ما ينجم عنها من أزمات اقتصادية، واتخذت بعض الخطوات الوقائية لتخفيف الأضرار في حال تكرارها، وسوف نعرض فيما يلي **الإجراءات والآليات التي اتخذتها لدولة المملوكية لمواجهة الطاعون في بلاد الشام.**

1 – تخفيف حدة الكارثة

وهي تتمثل في النشاطات التي تتخذ قبل الكارثة لحد من مسبباتها أو التقليل من مخاطرها، وتخفيف حدة آثارها التدميرية في الحالات التي يصعب فيها درء الكارثة المتوقعة[9]، إن هدف هذه المرحلة تتمثل في تغير طبيعة المخاطر التدميرية المتوقعة للكارثة والحد من آثارها وتجنبها قدر المستطاع، والتقليل من تعرض الإنسان وممتلكاته للكوارث، وذلك بتشييد وبناء ما يمكن أن يحول دونها وأن يخفف وأن يخفف من حدتها مثل المستشفيات، وتوفير الحماية للناس وممتلكاتهم في البيئات التي تهددها الكوارث[10].

وقد اتخذت لدولة المملوكية التدابير اللازمة لتخفيف الاضرار المتوقعة من الطاعون، فأنشأت الدولة البيمارستانات (دور المرضى) في جميع انحاء بلاد الشام ومصر، التي كانت تقدم خدمات طبية متنوعة، ومن الطبيعي أن يكون لها دور في تقديم الخدمات الطبية لمرضى الطاعون وغيره من الأمراض[11]، وورد لدينا اشارات متعددة أوردها المؤرخون تدل على أن حالات الإصابة بهذه الامراض تعالج بقدر الإمكان في هذه البيمارستنات ولم تكن مهمة البيمارستانات قاصرة على مداوة المرضى، بل كانت أيضاً في الوقت نفسه معاهد وكليات علمية لتعليم الطب، يتخرج منها الأطباء والجراحون والكحالون، وأيضاً يتم تركيب الأدوية واختبارها داخلها ودراسة خصائص الأعشاب الطبية، ومثلت البيمارستانات دور المشافي العامة التي يعالج فيها جميع الامراض والعلل من باطنية جراحية ورمدية وعقلية[12]، سواء كانت هذه البيمارستانات ثابتة أم متنقلة، فالثابت منها ما كان قد بني في المدن والمتنقل فهو الذي يُحمل من مكان إلى أخر حسب الظروف والأمراض والأوبئة أو مناطق الحروب والصراعات.[13]

وحرصت الدولة المملوكية على بناء جهاز إداري فعال داخل البيمارستانات ليقدم خدامته العامة للمجتمع، وأهمية نظار البيمارستانات والقضاة ولمحتسبين في مراقبة الأطباء وشروط عملهم داخل البيمارستان ودورهم الإيجابي من خلال تفاعل الهيئة الإدارية مع المرضى والزوار[14].

[8] نافذ محمد عبد ربه الشوامرة – مرجع سابق – ص 122
[9] محمد نصر مهنا، إدارة لأزمات والكوارث دراسة تحليله، الإسكندرية المكتبة الجامعية الحديث – 2008، ص 229
[10] محمد نصر مهنا – المرجع السابق ص 230
[11] مؤمن أنيس البابا، البيمار ستانات الإسلامية حتى نهاية لخلافة العباسية، إشراف مصطفى شاهين، غزة الجامعة الإسلامية،2009، أطروحة ماجستير، ص 31.
[12] المقريزي، تقي الدين احمد بن علي" السلوك لمعرفة دور الملوك" تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت دار الكتب العلمية،1997، ج6، ص 491
[13] ابن عساكر- تاريخ مدينة دمشق- ج38- ص 120
[14] مؤمن أنس البابا – البيمارستنات الإسلامية – مرجع صفحة ي

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

من أشهر هذه البيمارستانات في بلاد الشام القيمري في الصالحية والذي أنشأه الأمير سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف القيمري الكندي سنة 1255[15].والبيمارستان المنصوري في الخليل الذي اسسه السلطان المنصور قلوون سنة 1281م، وأوقف عليه الأوقاف من الضياع والبساتين وأشترط ألا يمنع دخول المرضى إلى البيمارستان، ورتب للمرضى الاشربة والسكر والخيار البلدي والفراريج.[16]

2-حالة الطوارئ

أولت الدولة المملوكية في بلاد الشام عناية بالمرضى الذين كانوا يصابون بالأوبئة والطواعين عن طريق خطة طوارئ كانت توضع من قبل السلطات وتتمثل في، تقديم العلاج اللازم، اتخاذ خطوات وقائية لمنع انتشار الامراض والطاعون كحملات النظافة، وتشيد البيمارستانات، وتجهيز البيمارستانات المتنقلة المحمولة إلى المناطق الريفية مع الأدوية اللازمة، ففي عام 1327م قامت نيابة السلطان في مدينة دمشق بحملة تنظيف للأوساخ والقاذورات على أثر تفشي الوباء فيها، إذ أوعزت للعمال بتنظيف مجاري المياه، وصرفت مقابل ذلك حوالي ثلاثمائة ألف درهم، بعد أن تبين أن السبب في تفشيه وتراكم الاوساخ[17]، وفي سنة 1338م أمر نائب الشام تنكز بإزالة الأوساخ من مدينة دمشق وتنظيف مقاسم المياه وفتح منافذها، وعلى أثر هذه الخطوة زال ما كان يعانيه السكان من الأوبئة بسببها من قبل.[18]

وكان للدولة دور كبير في تغسيل وتكفين وتجهيز ودفن من مات في هذه الطواعين، وذلك عبر إقامة أماكن عدة تعنى بهذا الأمر، وقد أشرف على مهمة تغسيل وتكفين ودفن الموتى، مجموعة من الأمراء الكبار منهم الأمير شيخو الناصري، والأمير مغلطاي الناصري، وقامت الدولة في مصر بإنشاء أماكن لتغسيل الموتى وتكفينهم بالقرب من مدرسة الناصر حسن، وانتدبت لهذه المهمة الأمير يشبك الدو ادار.[19]

3-التوجيه المعنوي والأخلاقي

وجهت الدولة الناس توجيهاً معنوياً وأخلاقياً مرتبط بمواعظ دينية، وحضت الناس إلى إعلان التوبة والإنابة إلى الله عز وجل وترك فعل المعاصي وفعل الطاعات والقربات، وقامت بعدة إجراءات لمنع مظاهر الفساد والفاحشة المنتشرة في المجتمع، ورغبة في أن يرفع الله البلاء عن البلاد والعباد.

[15] ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي ابن طولون 1564م، مفاكه الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة المؤسسة العامة لتأليف والنشر 1962 ج 1، ص 192

[16] النويري احمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق مصطفى نجيب فواز – حكمت كشلي فواز، بيروت دار الكتب العلمية 2004، ج 31- ص 71

[17] ـ نافذ محمد عبد ربه الشوامرة – مرجع سابق – ص-116 – عن المقريزي احمد – السلوك لمعرفة دول الملوك- 3\102

[18] المرجع السابق-نافذ محمد عبد ربه الشوامرة-ص 117-عن خليل الصفدي – أعيان العصر وأعوان ال نصر2\120

[19] محمد حمزة محمد صلاح، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة،2009، ص 173

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

ومن ذلك لما حدث طاعون 1348م في بلاد الشام ومصر، بدأ أئمة المساجد في بلاد الشام بالقنوت والصلوات، والدعاء برفع الوباء من يوم الجمعة 6 من شهر ربيع الثاني–حزيران، وندب الناس لصيام ثلاثة أيام، وأن يتضرعوا إلى الله برفع الوباء، فلما أصبح يوم الجمعة تجمع الناس عند مسجد القدم من كل فج عميق، واليهود والنصارة والسامرة، والسيوخ والعجائز والصبيان والفقراء والاغنياء والامراء والكبراء والقضاة من بعد صلاة الصبح فما زالوا يدعون الله تعالى حتى تعالى النهار.

وأما في مصر فقد أمرت الدولة الناس بالاجتماع في المساجد، وبدأ أئمة المساجد يقنتون في صلواتهم لرفع الوباء، ووجهت العلماء لقراءة صحيح البخاري في المساجد[20].

وفي سنة 1419 في مصر قامت الدولة بإصدار أوامر بإراقة الخمور، ومنع تعاطي الحشيش، ومنعت مظاهر الفاحشة التي كانت تمارسها النساء الساقطات، ووجهت الناس لصيام ثلاثة أيام يكون الخميس أخرها، وأن يخرجوا مع السلطان إلى الصحراء فيدعون الله، وفي هذا اليوم المذكور خرج السلطان ومعه العلماء والقضاة وعامة الناس إلى الصحراء، وهناك قام السلطان بالدعاء والتضرع والبكاء إلى الله لرفع هذا الوباء، وقام بذبح مجموعة من المواشي والضأن تقرباً إلى الله ووزع لحومها على الفقراء ومشايخ الزوايا والخوانق وعلى المساجد الكبيرة، ووزعت أيضاً كميات كبيرة من الخبز النقي، وشمل هذا التوزيع المساجين أيضاً.[21]

ولما حدث طاعون 1437م في مصر استفتى السلطان العلماء عن سبب فشو الطاعون في البلاد فذكر له بعضهم أن سبب ذلك انتشار الفاحشة، وكثرة تبرج النساء وتكرار خروجهم في الأسواق ليلاً ونهاراً، وأشار عليه بعض العلماء بمنع خروج النساء إلى الأسواق والطرقات، فأمر السلطان بمنع خروج النساء من بيوتهن مطلقاً ظناً منه أنه بذلك يرفع الوباء، وهدد من يخالف من النساء بالقتل.

وأصدرت الدولة أوامر بإبطال جميع الضرائب والمكوس المفروضة خاصة ضريبة المشاهرة، وجلس السلطان لاستقبال شكاوى المواطنين من أجل رفع الظلم عنهم، وقام بأطلاق مجموعة كبيرة من المساجين، وأمرت الدولة القضاة والأمراء وسائر الموظفين بمنع الظلم في القضاء بين الخصوم.

4–محاربة الاحتكار

استغل التجار والمحتسبون في الدولة المملوكية الكوارث الطبيعية من زلازل وفيضانات وكوارث طبيعية وقحط واجتياح اسراب الجراد والأوبئة والطواعين هذه الازمات لصالحهم في احتكار السلع والغلال، وبيعها للأهالي بأسعار مرتفعة وخصوصاً الأدوية والأكفان زمن الطاعون لكثرة الموتى في اليوم الواحد، وأيضاً استغلال سلعة السكر والبطيخ والفراريج لظن الناس أنها تساعد في شفاء الطاعون مما زاد الطلب عليها وبيعها بأضعاف ثمنها حيث كان العطارون يبيعون في اليوم الواحد من الأدوية مقداره ألف درهم، وبالتالي كان لاعتراض

[20] محمد حمزة محمد صلاح، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام ومصر، الجامعة الإسلامية، غزة، رسالة ماجستير،2009، ص167
[21] محمد حمزة محمد صلاح، المرجع السابق 167-168

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

السكان وإحداث اضطرابات أثرت في استقرار الأحوال السياسية للبلاد، وأثار حفيظة العامة الغلاء والاحتكار، وقاموا بثورة عام 1395م[22] طالبوا من خلالها بإطلاق الغلال وعرضها في الأسواق، وعلى أثر موجة سنة 1486م قام محتسب مدينة دمشق عبد القادر المحتسب باحتكار الاقوات والسلع فارتفعت الأسعار، واحتج العامة ورجموه بالحجارة.

ويظهر لنا مما سبق أن ظاهرة الاحتكار زمن الازمات في العهد المملوكي أدت إلى حدوث فوضى وانعدام الامن، مما أجبر رجال السلطة إلى محاولة إيجاد حلول مناسبة مثال ذلك: ما قام به نائب السلطنة " جقماش الظاهري" الذي أصدر مرسوماً طالب فيه المحتكرين إطلاق الغلال في الأسواق وبيعها، وإن لم يفعلوا ذلك نهبت مخازنهم، وبذلك حلت المشكلة وانخفضت الأسعار.[23]

مما سبق نستخلص ما يلي إن محاربة الاحتكار من قبل السلطات المملوكية في فترات حدوث الكوارث الطبيعية، أدى إلى انخفاض الأسعار، وأعطى الطمأنينة للناس، وخفف من أوضاعهم الصعبة، وهذا بدوره ساعد على استقرار الأوضاع السياسية.

ثانياً–الأثار النفسية للطاعون في الدولة المملوكية وانعكاساتها السلبية الأخلاقية في المجتمع

اتسمت الحياة الاجتماعية والنفسية والمزاج العام لسكان بلاد الشام بكثرة الأعياد والمناسبات الدينية الأخرى، بالإضافة إلى إقامة حفلات الأعراس البهيجة التي تدخل الفرح والسرور وتزيل الهموم وتساعد في توحيد المجتمع عبر المصاهرة والروابط الأسرية ، من خلال تعبير الناس فيها عن مظاهر سرورهم وبهجتهم، من خلال ما كان يسود السكان من أنوع التعاون، والأتلاف، والتكافل الاجتماعي، والتعاطف الوجداني بين أفراد المجتمع بشكل عام[24]، ولكن عند حدوث الكوارث الطبيعية كانت تستبدل تلك المظاهر بالأحزان وكثرة البلاء فقد ورد في كتاب المقريزي السلوك أنه عند حدوث الوباء في مصر لم تسمع الأغاني أو تقام الأعراس مدة عام، ومع ذلك ينتج عن الكوارث الطبيعية نتائج وأثار نفسية تنعكس سلباً على سلوك الأفراد ضمن المجتمع، تؤدي إلى التفكك الاجتماعي وتعيد الأفراد إلى حالة ونوع من التوحش البدائي بدوافع غريزية، منها غريزة البقاء والحفاظ على الحياة كما يصفها فرويد.

1–حدوث الفزع والخوف (الأثار النفسية):

عندما تحل الكوارث الطبيعية والأوبئة البيولوجية والأمراض السارية وينتشر، خبر الموت الأسود(الطاعون) في البلاد والمدن المجاورة[25]، تنهار المعنويات، ويفزع السكان، فيحاولون إيجاد طرق لتخفيف الأزمة ومنهم من يلجأ إلى المشايخ والمساجد ويبادروا بتلاوة القرآن و صحيح البخاري، ومنهم من يلجأ إلى الشعوذة والدجل والسحر، ففي الزلزلة التي هزت دمشق أثناء حصار المغول لها سنة 1260م، أصاب الأهالي فزع وخوف شديدان، وعدوا ذلك بلاء من الله قد أصابهم المغول من ناحية والزلزلة من ناحية أخرى، مما دفعهم إلى

[22] محمد بن صصري، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية، 164-تاريخ ابن قاضي شهبة-أبو بكر – تاريخ ابن قاضي شهبة- 3\544
[23] علي البصرواي-تاريخ البصرواي – ابن طولون محمد- مفاكه الخلان في حوادث الزمان 2\71
[24] قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1979،ص 94
[25] نافذ محمد عبد ربه الشوامرة – مرجع سابق – ص 151

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الخروج من المدينة تاركين خلفهم كل ما يملكون[26]، وقال المقريزي في ذلك، وأنتاب الناس الرعب بين خوف سمائي وأرضي من حصار التتار لدمشق ولما سمع سكان بلاد الشام أصواتاً تهدم حيطان البيوت وسقوفها في سنة 1303م انتابهم خوف وفزع شديد، وكثر الضجيج، والصراخ والعويل، وخرجت النساء مكشوفات الرؤوس ووضعت كثير من الحوامل ما في بطونهن من شدة الخوف[27]، وأدت الزلازل التي هزت مدينة حلب في سنوات 1343\1404م إلى إصابة سكانها بالهلع والخوف، وخرجوا من أبوابها متدافعين، الأمر الذي نتج عنه العديد من الإصابات والوفيات[28]، وتركت الأوبئة والطواعين آثار نفسية على المجتمع وعلى كبار الملاك في المدن جراء إفلاسهم وأصبحوا فقراء بعد غناهم وخصوصاً ملاك المواشي والثروة الحيوانية لتعرضها أيضاً للطاعون ونفوق أعداد كبيرة منها[29]، وانتاب سكان دمشق أيضا سنة 1404م خوف وفزع شديد عندما هبت ريح شديدة تصادفت مع موعد صلاة الجمعة فعطلت الصلاة وهرب معظم المصلين من المسجد الأموي إلى العراء، وكاد يقع المنبر والخطيب على الأرض من شدتها[30].

2–تعطيل الاحتفالات العامة والمناسبات الدينية:

أثرت الكوارث الطبيعية على السلوك النفسي والاجتماعي لسكان بلاد الشام، نتج عنها تعطيل بعض المظاهر الاجتماعية، كالاحتفال بالأعراس والمناسبات الدينية، وأثر تفشي الطواعين في بعض السنوات في تعطيل الأعراس والمناسبات الدينية تعطيلاً تاماً ففي سنة 1348م عندما تفشى الطاعون بالبلاد الشامية تعطلت مناسبات الأفراح كالأعراس، ولم يسمع أي غناء طيلة فترة تفشيه، لانشغال الناس بمواتهم، وقد عبر المقريزي عن ذلك بقوله: وأبطلت الأفراح والأعراس من بين الناس، فلم يعُرف أن أحد عمل فرحاً في مدة الوباء، ولا سمع صوت غناء، ومن المتعارف عليه أن الأهالي في بلاد الشام كانوا يحيون ليلة الإسراء والمعراج بإقامة الاحتفالات في المساجد رجالاً ونساء[31]، حيث تعلق في أرجاء المدن الشامية المشاعل والفوانيس والشموع، وتفرش البسط والسجاد داخل المساجد، وعليها الأواني والأباريق مملوءة بالمشروبات، ويستمعون لمشاهير القراء، وهم يرتلون آيات القرآن الكريم، وبعض المدائح النبوية[32].

واهتم المجتمع الشامي في إحياء احتفالات عيد الفطر، فكان معظم الناس يسهرون في المدن الشامية ليلة العيد في تجهيز ملابسهم الجديدة حتى الصباح، وكان الأتقياء منهم يسهرون في الاستماع للقرآن الكريم والأذكار، ومع طلوع النهار يتوجه الرجال لأداء صلاة العيد في المواكب، وهم يهللون ويكبرون، وبعد الصلاة يتبادلون التهنئة بالعيد وأطباق الكعك، وبعد تفشي الطاعون سنة 1437م قد نزع البهجة والسرور من صدور الناس في إقامة الاحتفالات بعيد الفطر في هذه السنة لانشغالهم بسقماهم وموتاهم[33]، ويقول ابن إياس في ذلك: وكان هذا العيد من أنكد الأعياد على الناس.

---

[26] المقريزي أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك،1\313
[27] بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان 4\264
[28] أبو الفداء الشافعي، تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة –دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ص 110\ كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب\3\527
[29] إسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 2\472 \ حمزة ابن سباط – صدق الاخبار، 2\628
[30] احمد ابن حجي- تاريخ ابن حجي ج 2-ص 625- تاريخ ابن قاضي شبهة- ج 4- 357
[31] المقريزي أحمد، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4- ص 88
[32] قاسم عبده قاسم- دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، ص 99
[33] ابن إياس، محمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2، ص 183\ ابن عبد الباسط خليل، نيل الامل في ذيل الدول، ج 5\ص 12

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

3-انتشار ظاهرة الدجل والخرافات

أدت الأوضاع الصعبة التي عانى منها سكان بلاد الشام بسبب حدوث لكوارث وتوترها زمن الحكم المملوكي، خاصة تفشي الطواعين إلى ترك آثار على نفسية السكان والمرضى، فأصبحوا يتشبثون بدجل وخرفات المنجمين طلباً للشفاء من المرض أولاً، وتغير أوضاعهم السيئة ثانياً، واستغل المنجمون المرض وظروف السكان لتحقيق أهدافهم، ففي مواجهة القحط والجفاف سنة 1373م، ظهر في مدينة الرملة أحد الدجالين كان يجلس لعدة أيام في الأسواق، ويدعي أنه رأى في منامه أن قتل السلطان سيؤدي إلى سقوط الامطار، وعموم الخير على البلاد وترخيص الأسعار، وكان يصيح بأعلى صوته: اقتلوا سلطانكم ترخص أسعاركم، ويجري ماؤكم"[34].

وفي سنة 1502 استغل أحد الدجالين تفشي الطاعون بدمشق، وتردي أوضاع السكان النفسية، فادعى أن عين الماء الموجودة بقرية قطيا تشفي المرضى إذا اغتسلوا بمائها، فهرع سكان دمشق رجالاً ونساءً يغتسلون في مائها البارد والملوث عراة، مما أثر في ازدياد عدد المرضى من شدة البرد والمياه الملوثة[35].

وفي سنة 1513م عندما انتشر الطاعون في دمشق وزاد عدد الوفيات في صفوف الأطفال، زعم شخص يُدعى ابن حمزة" أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه، وطلب منه أن يدعوا الناس إلى زيارة قبور الصالحين، ومقامات الأولياء، ولقيت دعوته صدى كبيراً من قبل نساء المدينة، وأقبلن بأطفالهن بأعداد كبيرة على زيارة القبور، والمقامات طلباً للشفاء[36]، إلا أن قاضي الشافعية لم يرض عن تصرفاته، ونصح من يذهب إلى تلك الأماكن أن يستبداه بالمواظبة على الصيام، وعمل الخير والإحسان، وقال في ذلك " قد كثر الظلم فلو أبطلتموه كان حسناً".

4-انعدام القيم الأخلاقية وتفشي الجريمة

أدى تكرار حدوث الكوارث الطبيعية بشكل عام في بلاد الشام إلى ترك آثار نفسية ساهمت في انعدام القيم الاجتماعية والأخلاقية لدى بعض فئات المجتمع الشامي، مما ترتب عليه انعكاسات سلبية على الأوضاع الاجتماعية كانعدام الأمن والاستقرار، وحدوث الفوضى وغيرها، وتركزت أهم هذه المفاسد في النواحي التالية:

آ-حوادث القتل والسلب:

تخلف كل كارثة طبيعية مجاعات وفقر تؤدي إلى وقوع بعض حوادث القتل والسلب، وهذا بدوره أدى إلى انتشار الرعب والخوف بين صفوف السكان، وانعكس على نفسياتهم وتصرفاتهم الطبيعية، ففي سنة 1296م عثر في مدينة دمشق على جثتين لحارسين الدرب مقتولين وهذا بدوره أثر في انتشار الفزع بين الأهالي مما دفعهم لتشكيل حركة شعبية بالاتفاق مع نائب السلطنة قبجق المنصوري لحفظ

[34] المرجع السابق ابن إياس ، بدائع الزهور،ج1 ق2 ص 124-125
[35] ابن طولون، محمد مفاكه الخلان وحوادث الزمان ج 1 214
[36] ابن طولون ، محمد، أعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الكبرى، 219

الأمن والبحث عن القتلة، وخلال عدة أيام من البحث والمراقبة للأحياء والشوارع تم إلقاء القبض على شخص فقير الحال، تبين بعد التحقيق معه أنه مسؤول عن قتل الحراس، فحكم عليه بالأعداء[37]، ويبدو أن شدة الجوع هي التي دفعت ذلك الفقير إلى قتل الحراس حتى يتمكن من دخول البيوت للحصول على القوت زمن القحط في ذلك العام.

ب–انتشار السرقة:

أدى حدوث الكوارث ايضاً إلى انتشار الفقر والجوع بين الناس، لعدم وجود الأقوات وارتفاع أسعارها، وبدوره ترك آثار سلبية تمثلت في انتشار ظاهرة السرقة في المدن والقرى الشامية من قبل الفقراء والبدو واللصوص وكانت معظم حوادثها تقع في الأفران والأسواق من أجل الحصول على رغيف الخبز في وضح النهار في سنة 1303م عندما هزت الزلزلة معظم بلاد الشام استغل اللصوص هروب الناس من بيوتهم وقاموا بسرقتها ويبدو أن هذا أثر في انعدام الامن وتفشي الفوضى في البلاد الشامية، مما دفع نائب الشام "أرغون شاه" سنة 1347م بمعاقبة السارقين، فقطع أيدي وأرجل ثمانية عشر منهم، وسمر على الجمال سبعة عشر آخرين في سوق الخيل ليكونوا عبرة وفر عدد كبير منهم من بلاد الشام خوفاً من العقوبة[38]

ونجد أن طاعون سنة 1348م كان الأشد تأثيراً في انتشار حوادث السرقة، لكثرة عدد الوفيات بين السكان، إذ أصبحت بعض البيوت خالية من الأحياء، ولا يوجد فيها سوى جثث الموتى[39]، وهذا بدوره أعطى بعض اللصوص الفرصة لنهبها، ففي مدينة غزة مثلاً دخل ستة أشخاص لسرقة أحد البيوت وعندما حملوا ما سرقوه وهموا بالخروج من البيت ماتوا جميعهم قبل الخروج، كما وصل الأمر إلى تبديل ملكية بعض الضياع والبيوت التي مات أهلها بغير حق، لكن لم ينعم غالبيتهم بما أخذوه إذ سرعان ما فتك بهم الطاعون ولحقوا بصاحب الملكية الأصلي، ومن قدر له البقاء على قيد الحياة استغنى لكثرة ما استحوذ عليه من ترك الأموات وفي ذلك قال ابن تعزي بردي: " وأخذ كثير من الناس دوراً وأموالاً بغير استحقاق لموت مستحقيها، فلم يّتمل أكثرهم بما أخذ حتى مات بعدهم بسرعة، ومن عاش منهم استغنى"[40]

ج–انتشار ظاهرة الغش

انتشرت ظاهرة الغش المرافقة للكوارث في بلاد الشام ولا سيما في السلع الضرورية كالقمح والخبز ، وعندما انتشر الطاعون في بلاد الشام سنة 1348م انتاب الناس خوفاً من حدوث المجاعات، فبادروا إلى بيع أثمن ما لديهم بأبخس الأسعار لشراء الدقيق والخبز ، وعندما رأى

[37] محمد ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج 1، ص 285
[38] عمر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2- ص16- محمد ابن صصري- الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية-ص 86
[39] أحمد القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج2، ص 286
[40] إبراهيم ابن دقماق، النفحة المسكية في الدولة التركية، ص 164- النجوم الزهر في ذكر ملوك مصر والقاهرة، ج10 –ص 164

العدد التاسع عشر
تاريخ الإصدار: 2 – ايار – 2020 م
www.ajsp.net
ISSN: 2663-5798

الخبازون كثرة اقبال الناس على شراء الدقيق والخبز، استغلوا وأقدموا على تصغير حجم رغيف الخبز وباعوه بالعد بدل الوزن، فبيع الرغيف المغشوش بدقيق الشعير والذرة بدل القمح، بربع درهم، بعد أن كان يباع بأقل.[41]

د-انتشار ظاهرة التسول

رغم أن ظاهرة التسول طبيعية شهدتها المجتمعات قديماً وحديثاً، إلا أنها كانت تزداد في بلاد الشام مع حدوث الكوارث الطبيعية، وتحديداً في لطبقات الشعبية الفقيرة، وأدى تفشي الطاعون في بلاد الشام سنة 1374م إلى كثرة أعداد المتسولين في المدن الشامية، مما أثر في انعدام الأمن وحدوث فوضى، دفع السلطان الأشرف شعبان، إلى إصدار مرسوم للأمراء والأغنياء والتجار، بتوزيع الفقراء والحرافيش والمتسولين، فيما بينهم لإطعامهم وأمر النواب بصلب من وجدوه يشحذ من الحرافيش بعد ذلك[42]،ويبدو أن صدور المرسوم السلطاني بصلب المتسولين كان بدفع القضاء على ظاهرة التسول المتزايدة وتوجيه المتسولين نحو العمل الشريف.

هـ -انتشار الفقر والمجاعات

بلغت شدة المجاعات والفقر الذين اصابا السكان في بلاد الشام سنة 1375م بسبب الجفاف والطواعين إلى انعكاسات نفسية أدت إلى انحلال القيم الأخلاقية والإنسانية، إذ وصل الأمر ببعض الأسر إلى بيع أبنائهم لشراء الأقوات أو للتخلص منهم ويقول الدويهي في ذلك: عدمت الأقوات أصلاً وأكلت الناس أولادهم، وعبيدهم، وجواريهم ولم توجد الأقوات بمال ولا حال من سائر الأحوال[43].

وكان لتفشي الطاعون في بلاد الشام آثار في انعدام الأقوات والغلال لندرة اليد العاملة، من كثرة عدد الوفيات في صفوف الفلاحين، فانتشر الفقر، وحدثت مجاعات واضطر السكان على أثر ذلك إلى أكل الميتة ولحوم البشر من شدة الجوع ففي سنة 1258م عندما تفشى الطاعون بالبلاد الشامية، قلت الاقوات وارتفعت الأسعار بشكل كبير، مما أدى إلى حدوث كارثتين معاً، المرض اولاً والمجاعة ثانياً، وكان طاعون 1348 الأشد تأثيراً بين الطواعين في شيوع الفقر بين الناس[44]،لنفوق الحيوانات وإغلاق الأسوق، ودور الصناعة والطواحين، ولقلة وجود النقد وعجز السكان عن شراء أهم احتياجاتهم، وهذا بدوره أدى إلى حدوث مجاعة شديدة وتوفي بسببها عدد كبير من السكان من شدة الجوع، ويعتقد أن ذلك ترك أثراً بالغاً في تراجع النمو السكاني، والإنتاج الزراعي والصناعي في معظم بلاد الشام.[45]

[41] احمد القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريخ، ج2\ص286- محمد النويري، الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقتضية في وقعة الإسكندرية،ج6 \ص422- المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك،ج4\ص 84
[42] ابن قاضي شبهة، تاريخ ابن قاضي شبهة، ج2\ ص 444
[43] تاريخ الأزمنة- ص 340
[44] محمد ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ص 22
[45] أحمد القلقشندي، مأثر الأنافة في معالم الخلافة، ج2\ص 156- عبد الرحمن السيوطي، تاريخ الخلفاء، 391

و–تراجع النمو السكاني

كان لطواعين سنتي 1372م و1374م دور في تراجع النمو السكاني في مدينة دمشق لكثرة الوفيات، فحسب الإحصائيات التي أوردتها المصادر التاريخية توفي فيها مائة وعشرون ألفاً[46]،وعندما تفشى سنة 1382م، توفي ما يقارب اثني عشر ألفاً من سكا دمشق، بعد أن دام الطاعون مدة شهرين من الزمن فكان يموت في اليوم الواحد من مائتين إلى أربعمائة شخص، ويبدو أن ارتفاع عدد الوفيات أثر في النمو السكاني في دمشق، وفي سنة 1393 قدر ابن صصري الأموات بحوالي ثلاثمائة وستون ألفاً، وفي طاعون 1398م، وصل عدد الوفيات في دمشق وحدها عن تسعة ألالف نسمة على حسب ما ذكره ابن حجي[47]، أنه كان يموت في اليوم الواحد من سكان المدينة مابين المائة والماءة والخمسين نفساً، مدة ثلاثة شهور، وفي طاعون سنة 1411 أورد المقريزي موت نحو خمسين ألفا من سكان دمشق وقراها، وأن بعض القرى قد أبيدت بشكل كامل.

ثالثاً–خطط السلطات السورية لمواجهة فيروس كورونا 2020

ما المقصود بفيروسات كورونا (COVID–19)؟ فيروسات كورونا هي مجموعة كبيرة من الفيروسات التي يمكن أن تصيب الحيوانات والبشر على حد سواء، حيث تسبب أمراض الجهاز التنفسي، سواء التي تكون خفيفة مثل نزلات البرد أو شديدة مثل الالتهاب الرئوي. ينتشر الفيروس بين الناس عادةً من خلال السعال والعطس أو ملامسة شخص لشخص مصاب أو لمس سطح مصاب ثم الفم أو الأنف أو العينين.

1–سوريا تتخذ إجراءات وقائية وتؤكد خلو أراضيها من أي إصابة

قال وزير الصحة السوري، نزار يازجي، إنه لم يتم رصد أي حالات إصابة بفيروس كورونا المستجد في بلاده، في الوقت الذي حذرت فيه منظمة الصحة العالمية من أن سوريا مهددة "بشدة" بانتشار المرض

وأوضح نزار يازجي أن الحكومة أعلنت منع دخول (الأجانب)، ال خميس19\3\2020، بعد إغلاق المدارس والمتنزهات والمطاعم، وغيرها من المؤسسات العامة.

وأضاف: "اعتبارا من يوم السبت القادم 21\3\2020ستكون هناك خطوط ساخنة استشارية للتواصل ما بين المواطن ومديريات الصحة بالمحافظات حول الحالات المرضية، بما فيها الاستشارات والاستفسارات حول فيروس كورونا".

[46] خليل ابن عبد الباسط، نيل الأمل في ذيل الدول، ج2\ص 71
[47] تاريخ ابن حجي، ج1، ص 298

كما رد على ما تردد بشأن تعتيم الدولة على انتشار المرض، قائلا: "وزارة الصحة هي المصدر الوحيد للمعلومات حول هذا الموضوع، وليس ما يدور على صفحات التواصل الاجتماعي الصفراء من شائعات"، حسب ما نقلت عنه الوكالة العربية السورية للأنباء.

2-إجراءات احترازية في سوريا

أعلنت السلطات السورية الجمعة 20\3\2020سلسلة إجراءات للوقاية من احتمال تفشي فيروس كورونا المستجد في البلد، ولم تعلن فيه رسميا أي إصابة بعد، وفق ما أفادت وكالة الأنباء السورية الرسمية سانا.

وفي ختام اجتماع وزاري برئاسة رئيس الوزراء عماد خميس، أعلنت السلطات "تعليق الدوام في الجامعات والمدارس والمعاهد التقنية العامة والخاصة...ابتداء من يوم 14 مارس ولغاية الخميس 2 أبريل".

وتقرر كذلك "إيقاف كل النشاطات العلمية والثقافية والاجتماعية والرياضية" في البلاد، وفرضت السلطات أيضا منع "تقديم النراجيل في المقاهي والمطاعم".

وذكرت الوكالة أن عدد العاملين في القطاع العام سيخفض بنسبة 40 بالمئة، وسيجري خفض ساعات العمل إلى ما بين الساعة 9:00 و14:00.

وقالت الحكومة السورية إنه سيجري تجهيز مراكز حجر صحي "بمعدل مركزين في كل محافظة"، بحسب سانا، في حين لم تعلن سوريا حتى الآن تسجيل أي حالة وفاة أو إصابة بالفيروس.[48]

3-بين "التستر" والحقيقة هل وصل كورونا إلى سوريا؟

غاب فيروس كورونا عن سوريا على الخريطة العالمية لانتشاره، غير أن التداول اليومي للسوريين بمختلف مناطق البلاد أثبت وجود حالات إصابة.

ورغم ما وصف بتستر النظام عن إعلان عدد الإصابات قررت قطر والأردن والكويت والسعودية إيقاف مختلف أنواع الرحلات من وإلى سوريا، ووضع الأشخاص القادمين منها في الحجر الصحي.

وأقامت تركيا على معابرها الحدودية مع سوريا نقاط تفتيش طبية، حيث يجري فحص القادمين للتأكد من عدم وجود أعراض للمرض.

وفي 1 مارس/آذار الماضي كان أول تحرك رسمي سوري عندما أعلنت رئاسة مجلس الوزراء تعليق دخول المجموعات السياحية بشكل مؤقت للبلاد.

[48] سكاي نيوز عربية، 20\3\2020

غير أن موقع "فلايت رادار 24" لرصد حركة الطيران كشف استمرار وصول الرحلات من بلدان تم تسجيل حالات إصابة فيها مثل العراق والكويت وإيران.[49]

4-تصريحات متباينة

وقال وزير الصحة السوري نزار يازجي إن هناك أربعين مشتبها بحملهم الفيروس كانت نتائج تحليلهم سلبية، مشيرا إلى أنه تمت إقامة 1126 مركزا صحيا في عموم مناطق سيطرة النظام.

وأضاف يازجي في تصريحات صحفية "شكلنا فرق عمل لمواجهة كل الاحتمالات، لا توجد مخابر مختصة بكشف الفيروس حتى الآن".

من جهته، بين وزير الصحة في الحكومة السورية المؤقتة التابعة للمعارضة الدكتور مرام الشيخ خطوات تعاملهم مع الفيروس في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة شمال غرب سوريا.

ويضيف الشيخ أنهم أقاموا مركزين للحجر الصحي في إدلب وشمال حلب، إضافة إلى دوريات صحية مهمتها فحص الأشخاص الذين ينتقلون من مناطق المعارضة لمناطق النظام والعكس بالعكس.

وأشار إلى أن هناك 38 حالة تم إرسال عيناتها إلى تركيا، وأظهرت الفحوصات أن 36 منها سلبية، مؤكدا على العمل بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية لإقامة مراكز في الشمال السوري مختصة في كشف كورونا، وعلى نشر طرق الوقاية الأولية عبر منصات التواصل الاجتماعي والمساجد.

وفي شمال شرق سوريا، أعلنت الإدارة الذاتية التابعة لقوات سوريا الديمقراطية الحاكمة في تلك المنطقة عن إقامة مراكز حجر صحي في مختلف المراكز الصحية، إضافة إلى اتخاذ كافة التدابير اللازمة لمواجهة أي إصابات، إضافة إلى إغلاق المعبر الحدودي "غير الرسمي" الواصل بين مناطق سيطرتها والعراق كإجراء احترازي.[50]

5-لا مخابر مختصة

يقول مسؤول مكتب منظمة الصحة العالمية في مناطق شمال غرب سوريا الدكتور محمد الضاهر إنه "لا مخابر مختصة بكشف الفيروس في المناطق الخارجة عن سيطرة الحكومة السورية".

ويضيف أنهم يعملون بكل طاقتهم لتزويد هذه المناطق بالإمكانات الكافية للتعامل مع حالات الإصابة واكتشاف الفيروس فيما يتعلق بحالات الاشتباه، مؤكدا أن هناك تدريبات تجرى للعاملين في القطاع الطبي بالمنطقة لتأهيلهم للتعامل مع أي حالات.

[49] الجزير نت -معن الخضر- 2020/3/11
[50] الجزير نت -معن الخضر-2020/3/11

في المقابل، قال مدير مكتب المنظمة في دمشق الدكتور نعمة سعيد إن العشرات من الحالات المشتبهة تم إجراء فحوصات لها وكانت كافة النتائج سلبية، مضيفا أنهم زودوا وزارة الصحة بشحنتي مساعدات طبية خاصة بالتحري عن الفيروس وتطوير عمليات فحص المسافرين القادمين من المعابر الجوية والبحرية والبرية.

النتائج:

من خلال ما سبق وبالمقارنة بين الإجراءات التي اتخذتها الدولة المملوكية والسلطات السورية نجد، أنه رغم الإمكانيات العلمية المحدودة في العصور الوسطى الموجودة عند الدولة المملوكية إلا أنها حاولت وسعت للحد من انتشار الطاعون والكشف عن أسبابه ونجدها أكثر حرصاً وجدية على حياة مواطنيها من السلطات السورية الحالية (النظام السوري– الفصائل المعارضة– الإدارة الذاتية الكردية) من خلال ما يلي:

1- الشفافية: كان السلاطين في الدولة المملوكية أكثر شفافية وصدق وقرب من الناس مقارنة بالسلطات السورية الحالية ولم يخفوا وقوع الكوارث بل طلبوا من الناس التوبة والرجوع إلى الله وخففوا الأحكام والغرامات والغوا قسم كبير من الضرائب، بينما أثار تعامل وزارة الصحة السورية وإصرارها على نفي وجود أي إصابات في سوريا –في ظل وصول الفيروس لعدة دول مجاورة–حالة من التندر لدى السوريين والخشية من التكتم واتمنى أن تكون حكومة بشار الأسد صادقة، لأن هذا الوباء لو دخل سوريا فلن يبقي ولن يذر، بينما اقتصر مناطق المعارضة على تصريح وزير الصحة في الحكومة المؤقتة أنهم جهزوا مراكز للمعالجة والحجر الصحي ومنتظرين الداعمين أو المانحين في مجال العمل الصحي من تمويل هذه المراكز.
2- التخفيف من حدة الكارثة: بينت الدراسة أن السلطات المملوكية حاولت التخفيف من حدة الطاعون في الاستعداد المسبق من خلال تفعيل جهاز إداري مختص لمراقبة عمل البيمارستانات وتأمين الأدوية والنفقات المالية للأطباء، أيضاً تكفلت بحماية الأحياء من تفسخ وتحلل جثث الموتى من خلال ترحيل الجثث من المنازل وتغسيلها وتكفينها ودفنها على حساب الدولة، فيما بقيت الإجراءات المتخذة في سورية على اختلاف مناطق السيطرة فيها عام 2020 أقل من حجم الكارثة العالمية، سوى تجهيز و تأمين بعض الأجهزة التي تقيس حرارة الشخص عن بعد دون تشخيص الفعلي والعلمي للمريض، أو حتى وجود مخابر بيولوجية مختصة، ولم نشهد تخصيص ميزانية ولو بسيطة من قبل كافة السلطات في سورية لمواجهة الأزمة.
3- حالة الطوارئ: أعلنت الدولة المملوكية حالة الطوارئ في البلاد من خلال البحث والتقصي عن أسباب الوباء ومحاولة معالجة أسبابه، وقامت بتأمين العلاج، واستيراد المواد الغذائية من الدول المجاورة للتخفيف من حدة المجاعة المرافقة للطاعون، كما قامت بحملة نظافة عامة للشوارع في المدن وترحيل القمامة وحرقها، وتنظيف مجاري الأنهار والسواقي، وقتل كلاب الشوارع،

فيما كانت السلطات في سورية بعيدة عن مستوى المسؤولية، وغاب دور الدولة تماماً وأكتفت بنفي وجود الفيروس وانتشاره في سورية وعدم تسجيل أصابات، وفي مناطق سيطرة المعارضة لعبت منظمات المجتمع المدني دوراً في إجراءات الطوارئ

والتوعية، وغاب دور الحكومة المؤقتة، واقتصر التعاون مع الجانب التركي على إرسال بعض التحاليل الطبية والعينيات البيولوجية إلى مخابر وزارة الصحة التركية المجاورة.

4- على المستوى المعنوي: اختلفت الإجراءات المتخذة لتوجيه الناس معنوياً وأخلاقيا بين الكارثتين، الطاعون زمن المماليك وكورونا 2020 لتوعية المجتمع في سبيل الحد من انتشاره، حيث طلبت الدولة المملوكية من الناس التوبة إلى الله والدعاء والاستغفار وترك المعاصي، وأغلقت دور السهر والخمور، والغت الكثير من الغرامات المالية والضرائب، فيما اعتمدت السلطات الحاكمة في سورية على منع اختلاط الناس والتجمع وأغلقت دور العبادة والمدارس للحد من انتشار كورونا.

5- محاربة الاحتكار: حاربت الدولة المملوكية الاحتكار وهددت التجار المحتكرين بنهب مخازنهم وتوزيعها على الناس وبذلك رخصت المواد الغذائية، بينما لا نكاد نجد ذلك في سورية وخصوصا الطلب على الكمامات وبيعها في السوق السوداء، وأيضا غياب دور السلطات السورية في جميع مناطق سورية من المحاولة للسيطرة على الغلاء وتدهور سعر صرف الليرة السورية.

6- الآثار النفسية: نتج عن الطاعون زمن الدولة المملوكية آثار نفسية انعكست على أخلاق الأفراد سلباً داخل المجتمع الشامي، نتج عنها سلوك اجتماعي خطير دمر الروابط الاجتماعية في المدن الشامية، وانتشر الخوف والفزع من الموت والطاعون والمجاعات المرافقة له موجات من النازحين والمهاجرين الذين تركوا مدنهم هرباً من الموت تاركين خلفهم كل ممتلكاتهم، وتعطلت الاحتفالات العامة والمناسبات الدينية، والاعراس، وانتشرت ظاهرة الدجل والشعوذة والخرافات، ظناً من الناس أنها تشفي الأمراض.

بينما نجد الآثار النفسية في سورية المرافقة لفيروس كورونا هي نفسها التي عانها الشعب السوري منذ تسع سنوات من قصف وتهجير ونزوح وترك المدن والقرى والممتلكات ليس هرباً من الوباء بل هرباً من قصف الطائرات، أيضاً نجد الخوف المرافق للغلاء ونقص المواد التموينية والمحروقات أكثر من الآثار النفسية للفيروس.

7- انعدام القيم الأخلاقية: أدى تكرار الكوارث الطبيعية وانتشار الطاعون في بلاد الشام خلال الحكم المملوكيالذي تجاوز الخمسين مرة، إلى انعدام القيم الأخلاقية في المجتمع وانتشرت الجريمة والقتل والسلب، وانعدم الأمن وانتشرت السرقة بدافع الجوع، وظهر الغش في المعاملات التجارية، وزاد الفقراء وانتشر المتسولون في الشوارع أمام المساجد حتى شوشوا على المصلين، وباع الناس أطفالهم والتهموا لحم جواريهم وغلمانهم، وأكلوا الميتة، وبدلوا ملكيات العقارات في القرى التي أبيدت بالكامل.

بينما نجد أن القيم الأخلاقية في المجتمع السوري حالياً أثناء كورونا متشابهة في اكثر من ظاهرة منها، تعطيل المساجد وصلاة الجماعة، ومنها اللجوء إلى المشعوذين والدجالين وطب الأعشاب للواقية من الفيروس الذي لم تم الكشف عن علاج له لغاية الأن، أيضاً يمكن أن نجد الغش التجاري أصبح ظاهرة شبه عامة في ظل الحرب.

8- تراجع النمو السكاني: تراجع عدد سكان بلاد الشام كثيراً نتيجة الطواعين زمن المماليك وفي الإحصاءات التي وردت في كتب المؤرخين يموت خلال كل طاعون بين تسعين ومائة وعشرون ألف نسمة.

بينما لا نجد في سورية 2020 إحصاء رسمي عن ضحايا كورونا ولا عن ضحايا قصف النظام للمدين العزل ويقدر عدد الضحايا خلال الثورة السورية أكثر من مليون شخص، وسوف تكشف لنا الأيام العدد الفعلي للضحايا في سورية خلال تسع سنوات مضاف إليها ضحايا كورونا.

التوصيات:

1- من المفترض تضافر الجهود في سورية بكافة مناطقها ومكوناتها لمواجهة كورونا، والدعوة للتعايش السياسي السلمي في هذه المرحلة، والاستفادة من الخبرات الطبية السورية أينما وجدت وتشكيل جهاز طبي تكنوا قراطي سوري وطني، هدفه الحد من انتشار الفيروس وحماية المواطن السوري.

2- الإفصاح من قبل القوى الحاكمة في سورية بكافة مكوناتها وقول الحقيقة عن حجم الكارثة، وزيادة الشعور بالمسؤولية تجاه خطر كورونا وآثاره النفسية والاجتماعية، والاقتصادية على المجتمع.

3- دور السكان في التصدي للكارثة والتعاون مع توجيهات السلطات وتجنب التجمعات وإقامة الأعراس والفعاليات الرياضية، والمظاهرات الثورية، والمسيرات المؤيدة، والصبر، وتقليل الخروج من المنازل وتبليغ الجهات المسؤولة عن أي عارض صحي مشابه لإعراض كورونا.

4- طلب المساعدة من منظمة الصحة العالمية والصليب الأحمر الدولي، لتأمين مراكز علاج وحجر صحي وفق الشروط العالمية، وتخصيص ميزانية خاصة لكورونا، تشمل كافة مناطق سورية وتوزع على الجهاز الطبي المشكل في هذه التوصية أعلاه.

5- تأمين فرق دعم نفسي مدربة للتخفيف من حدة الكارثة ومرافقة المرضى في الحجر الصحي لرفع معنوياتهم ومساعدتهم في الشفاء.

المصادر والمراجع:

1–المقريزي، تقي الدين احمد بن علي" السلوك لمعرفة دور الملوك" تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت دار الكتب العلمية،1997، ج6،

2–ابن عساكر–تاريخ مدينة دمشق–ج38

3–ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي ابن طولون 1564م، مفاكه الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة المؤسسة العامة لتأليف والنشر 1962 ج 1،

4 – ابن طولون ، محمد، أعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الكبرى، 219

5–النويري احمد بن عبد الوهاب، نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق مصطفى نجيب فواز – حكمت كشلي فواز، بيروت دار الكتب العلمية 2004، ج 31

6–جمال الدين أبي المحاسن يوسف ابن تغري بردي، النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، 1963، ج 10،

محمد بن صصري، الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية

8–تاريخ ابن قاضي شهبة–أبو بكر – تاريخ ابن قاضي شهبة

قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1979

بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان 4

11–أبو الفداء الشافعي، تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة –دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع،

12 –كامل الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب\3

13–إسماعيل أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 2

14– احمد ابن حجي– تاريخ ابن حجي ج 2

15 ابن إياس، محمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج2،

16–ابن عبد الباسط خليل، نيل الامل في ذيل الدول، ج 5

17–محمد ابن الجزري، تاريخ ابن الجزري، ج 1،

18–عمر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، ج2–

19- أحمد القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ج2

20-إبراهيم ابن دقماق، النفحة المسكية في الدولة التركية،

21- محمد النويري، الإلمام فيما جرت به الأحكام والأمور المقتضية في وقعة الإسكندرية،ج6

22-محمد ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،

23- أحمد القلقشندي، مأثر الأنافة في معالم الخلافة، ج2\

24- أشرف صالح محمد، الانحراف الاجتماعي خلال العصر المملوكي، سلوك العامة نموذجاً 1250-1517، مجلة التراث والحضارة (جامعة قناة السويس) المجلد 4، العدد 4-نوفمبر، 2014

25-فيصل عبد الله بني حمد، أثر الكوارث الطبيعية على الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر المملوكي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية 28، 2008

26-نافذ محمد عبد ربه الشوامرة، الكوارث الطبيعية وآثارها في بلاد الشام في العصر المملوكي،1250-1517م، إشراف شوكت رمضان حجة، فلسطين، جامعة الخليل 2012 أطروحة ماجستير

27-محمد حمزة محمد صلاح، الكوارث الطبيعية في بلاد الشام، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة،2009،

28-فتحي سالم حميدي، وباء الطاعون وأثره على مدينة القاهرة في العصر المملوكي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، المجلد 12-عدد 4-2013

29-حسن أبشر الطيب،" إدارة الكوارث" الخرطوم، شركة ميلاديت المحدودة،1992

30- محمد نصر مهنا، إدارة لأزمات والكوارث دراسة تحليله، الإسكندرية المكتبة الجامعية الحديث – 2008،

31- مؤمن أنيس البابا، البيمار ستانات الإسلامية حتى نهاية لخلافة العباسية، إشراف مصطفى شاهين، غزة الجامعة الإسلامية،2009، أطروحة ماجستير،

32-سكاي نيوز عربية 20\3\2020

33-الجزير نت -معن الخضر-2020/3/11